بسم الله الرحمن الرحيم

د. سهير فضل الله ابووافيه

العقل والوحي

ان محاولتنا التعرف على ماهية العقل وطبيعته ، وحقيقة الوحي ووظيفته ، انما هي محاولة هامة اليوم ، لتوضيح كثير من الأمور ومواجهة العديد من المشاكل ، التي يستغلها البعض لاحداث صراع بين العقل والنقل وخلط المسائل بعضها ببعض.

فما يُشاهد اليوم من جدال عقلي وحوار ديني حول المصدر الذي نحتكم اليه في معارفنا ، والمعين الذي نستقي منه أحكامنا هل هو العقل أم النص ؟ انما هو حوار وجدال مفتعل لا هدف وراءه الا اشاعة البلبلة ، وافساد الحقائق اذ لاغنى للعقل عن الوحي ولا الوحي يهمل العقل ، وان الذين يغالون في قيمة العقل مخطئون والذين يتوقفون عند النص دون العقل مقصرون، اما الذين يجمعون بين العقل والنص فهم قد أصابوا الحق ، والتزموا الصدق ، حيث لاتعارض بين العقل والوحي.

حقيقة لقد شغلت هذه المسائل الفلاسفة والمفكرين ، واختلفت حولها أنظار المتكلمين والباحثين.

فهل يمكن الاستغناء بالعقل عن الوحي ؟ وهل يكفي الوحي دون العقل ؟

أم أن لكل منهما دورا يؤديه وعملاً يناط به ؟

لقد ذهبت البراهمة ، وتأثر بها بعض الفلاسفة كمحمد بن زكريا الرازي الطبيب، وابن الراوندي الى القول بان للانسان غنيه في عقله عن أي سبيل غيره ، فليعتمد عليه وليتصرف عما سواه ، وعلى ذلك أهملوا النص ، وقدموا العقل على الوحي والنبوه ، كطريق للعلم والمعرفة ، وذهبوا الى ان العقل وحده يكفي مصدر المعارف. وقد سار في ركاب هؤلاء الجهمية وبعض

الفلاسفة الذين زعموا ان نصوص الأنبياء غير مطابقة للحقيقة ، وانما كذبها الأنبياء على العوام لان مصلحة العوام ان يخاطبوا بما يوافق عقولهم (١) .

فهؤلاء قد غالوا فى قيمة العقل على حساب الوحى ، ولكن بديهيات للعقل أن يعرف مالايعرفه الوحى * أو كما قال بسكال قولته المشهوره " اخرس ايها العقل " فالحقيقة الالهيه تفوقك . وبذلك الا لقصوره فى كثير من المسائل والمشكلات ، وان الاعتماد على العقل وحده مجرد مكابره وعناد وعدم ادراك لطبيعته وحدوده ، فالعقل ماهو الا القوه المتهيئة لقبول العلم " ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوه عقل ، ولهذا قال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه : العقل عقلان مطبوع ومسموع ، ولاينفع مسموع اذ لم يك مطبوع كما لاينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع .

والى العقل الأول أشار الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : ماخلق الله خلقا أكرم عليه من العقل وعن الثانى قال " ماكسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى " (٢) .

والمعنى الأول يشير الى العقل بالقوه والثانى يوضح العقل المكتسب أو المستفاد ، كما قال عنه الفلاسفة الذين اهتموا بدراسة العقل ومعرفة ماهيته ، فوضعوا له تعريفات وتحديدات وكان على قمة المهتمين بالعقل أرسطو الذى أفرد فى الجزء الثانى من كتابه " النفس " بحثا طويلا عن العقل فقال " أما فيما يمس العقل فليس هناك شيء بديهى بشأنه ، ومع ذلك يبدو أن يكون ذلك نوعا جديدا من النفس مختلفا جدا ، وانه وحده هو الذى يمكن أن يكون مفارقا للبدن " (٣) .

---

(١) ابن تيميه : درء تعارض العقل والنقل نشروتحقيق د . محمد رشاد سالم المقدمه ص ١١ الطبعة الاولى ٩٩
* المقصود بالوحى كلام الله المنزل على أنبيائه ورسله ونقصد به النقل والنصوص

(٢) الراغب الاصفهانى : المفردات فى غريب القرآن تحقيق محمد سيد الكيلانى الطبعة الاخيره سنة ١٩٦١م مطبعة الحلبى ص ٣٤١ - ٣٤٢

(٣) أنظر كتاب النفس والعقل للدكتور محمود قاسم ص١٩٤ طبعة ج ٢ سنة ١٩٦٢ م .

وقد فرق أرسطو بين كل من العقل الهيولانى الذى هو مجرد استعداد يمكّن الانسان من ادراك معانى الأشياء أو صورها ، وبين ذلك العقل الذى ينتزع هذه المعانى فعلاً وهو ما يسميه بالعقل الفعال . وقد أدت هذه التفرقة لدى أرسطو الى القول بالعقل بالقوة ، والعقل المنفعل والعقل الفعال ، فقال : " فى الواقع يفرق المرء فى النفس من جهة بين العقل الذى يشبه المادة بسبب أنه يصير جميع المعقولات ، ومن جهة أخرى بين العقل الذى يصنع المعقولات ، بمعنى انه حاله ما شبيهه بالضوء " (١) .

والعقل الفعال عند أرسطو يلقى ضوءه على الصور الخيالية حتى تخرج منها الصور العقلية الى الفعل بعد أن كانت موجودة فيها بالقوة مثل الضوء الذى يغمر الأشياء فتظهر للعين .

وبناءً على قول أرسطو هذا فسر الاسكندر الأفروديسى المعرفة الانسانية بأن النفس اذا أدركت احدى الصور العقلية فانها تتحد بها وتصبح معها شيئاً واحداً ، وقد كان يفرق هو أيضاً بين العقل الفعال ، والعقل بالقوة ، وجعل العقل الفعال عند أرسطو ذاتاً مستقلة هى الله .

أما تيمستيبس فيرى أن أرسطو لم يكن يقول بأن العقل الفعال هو الله الذى يفكر فى نفوس البشر ، وذلك لأن هذا العقل جزء منا أو هو حقيقتنا بعبارة أدق (٢)

ثم يفرق تمستيبس بين ما يسميه العقل المشترك وبين ما يطلق عليه اسم العقل بالقوة ، وقد طبق نظرية تعاقب الصور على مادة واحدة ، ورتب العقول على هذا الأساس ، وجعل العقل الفعال آخر وظائف النفس أو آخر صورها أو صورة الصور .

وقد انتقلت هذه الأفكار والنظريات الى العالم الاسلامى وكان لها أثرها على الفلاسفة المسلمين ولكن المتكلمين كانت لهم تعريفات للعقل على أنه ضرب من العلوم الضرورية ، أو انه قوة

---

(1) De Anima III, 430, a, 15.

(٢) د . محمود قاسم : فى النفس والعقل ص ٢٠٠ .

يفصل بها بين حقائق المعلومات ، وذكروا عن العقل انه ملكه الحكم اذ هو يتأمل فيما يدركه ويقلبه على جميع وجوهه ويحكم عليه ، ويتصل بملكه الحُكم ملكه الحِكمة ، التى تنتهى بالحكيم الى العلم بما يحسن ويقبح ، وما ينبغى له أن يطلبه ، وما ينبغى له أن يأباه وذكر الجاحظ عن العقل أنه سمى عقلاً لأنه يزم اللسان ويخطمه عن أن يمضى فُرطاً في سبيل الجهل والخطأ والمضرة .

وقال الجرجانى فى تعريفاته ، ان العقل يمنع الانسان من العدول عن سواء السبيل ، والعاقل هو الذى يمنعه عقله عما لا ينبغى .[1] وقريب من هذا ذهبت معاجم اللغة العربية ، فذكر مختار الصحاح عن العقل بأنه الحجر والنهى ضد الحمق ، أى المنع والعقال ، ولذا يقال فى لغة العرب عقلتُ الناقة ، أى منعتها بما شددتها به عن تصرفها فى سعيها .[2]

ولهذا جاء فى تعريف العقل ما يجمع بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى فقيل عن العقل أنه الضبط والفهم لأن ما فهمته فقد قيدته بعقلك وضبطته ، وهذا الضبط جعل هيرقليطس يطلق لفظ العقل أو اللوجى على القانون الذى يضبط حركة الكون وينظمه .[3]

ولقد اهتم الكندى الفيلسوف المسلم بدراسة العقل وتعريفه فقال : ان لفظ العقل يطلق على عدة معان أولها : العقل الذى هو بالفعل دائماً وهو علة جميع العقول والمعقولات وهذا العقل عند الكندى فيما يرجح هو لله وثانيها : العقل الذى هو فى نفس الانسان بالقوة . وثالثها : العقل كعادة وهو الذى فى النفس بالفعل ، وتستطيع النفس استعماله متى شاءت .

ورابعها : عقل هو فعل به تظهر النفس ماهو فيها .

ويرى الكندى أن خروج العقل من القوة الى الفعل هو من فعل العلة الأولى ، أى أن الكندى كان يرى أن العقل الذى هو بالفعل دائماً هبة من الله ، ويسميه الكندى بالعقل المستفاد .

---

(١) الجرجانى : التعريفات ص ١٥٧ .
(٢) مختار الصحاح : ص ٤٠٩ .
(٣) د . أميرة مطر : الفلسفة عند اليونان ص ٦٠

والواقع أن نظرة الكندى للعقل إنما تعد من ناحية الشكل أثرا من آثار نظرية الاسكندر الافروديسى وقد سرى هذا الأثر فى الفلسفة الاسلامية والفلسفة المسيحية •

وكذلك نجد الفارابى قد اهتم بدراسة العقل وأفرد له هو الآخر مقالة فى معانى العقل ضمن كتابه الثمرة المرضية • وقد حاول الفارابى فى هذه المقالة أن يبين معنى العقل عند الجمهور وعند أرسطو فذكر : أن لفظ العقل يطلق ويراد به معانى جمة ، فان العامة تصف به كل ذى فضل سديد الحكم • والمتكلمون يعبرون به عن تلك الملكة أو القوة التى بها يميز الانسان الخير والشر •

ويعرض الفارابى نظريته فى العقل وقد تأثر فى تقسيمه له بأرسطو فرق بين أربعة عقول: العقل بالقوة ، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد ، والعقل الفعال •

ويرى الفارابى أن العقل بالقوة هو قوة من قوى النفس ، أو شىء ما ، ذاته معدّة أو مستعدة لأن تنتزع ماهيات الموجودات كلها وصورها ، فتجعلها كلها صورة واحدة •

والعقل بالفعل هو نفس العقل السابق ، وقد اتحد بالصور العقلية التى كانت موجودة بالقوة فى الأشياء الخارجية ، ثم انتقلت الى الفعل أى الصور التى يمكن ادراكها فأصبحت مدركة ، أى أن هذين العقلين عند الفارابى مظهر لشىء واحد •

والعقل الثالث الذى يسميه الفارابى بالعقل المستفاد يكون عندما يدرك الصور العقلية ، وتصبح هذه صورة له ، فينقلب عقلاً مستفاداً ويذكر الفارابى فى هذا الصدد " ان العقل بالفعل متى عقل المعقولات التى هى صور له من حيث هى معقولة بالفعل صار العقل الذى كنا نقول أولاً انه العقل بالفعل هو الآن العقل المستفاد "(1) •

ومن ذلك نرى أن الفارابى فى نظريته فى العقل تأثر بأرسطو من ناحية الشكل وأخذ عن تيمستيوس القول بالتدرج فى الوظائف العقلية • ويضيف الفارابى الى هذه العقول الثلاثة عقلاً رابعاً هو العقل

---

(1) الفارابى : مقاله فى معانى العقل ، ص ٣٥ •

الفعال والذى قال به أرسطو لأنه رأى أن هذه العقول الثلاثة ليست كافية فى تحصيل المعارف ، اذ لابد من وجود عقل آخر يخرج النفس من مجرد الاستعداد لادراك الأشياء الى ادراكها بالفعل ، والعقل الفعال لديه موجود خارج النفس وهذا العقل الفعال موجود دائماً ، ومتحقق تحققاً تاماً وهو الذى يهب الصور للمادة ، وان امكان حصول المعرفة للانسان ، وكذلك صحة هذه المعرفة ، يتوقفان على أن يهب العقل الفعال للانسان معرفة هذه الصورة .

ويشبه الفارابى العقل الفعال بالشمس التى تخرج الألوان من القوة الى الفعل ، أى من الخفاء الى الظهور ، كذلك العقل الفعال هو الذى جعل العقل الذى بالقوة عقلاً بالفعل بما أعطاه من ذلك المبدأ .

ويذكر الفارابى أن النفس لا تستطيع بلوغ غايتها فى الادراك الا اذا وجد شئ يخرجها من القوة الى الادراك الفعلى ، وذلك الشئ هو العقل الفعال . ولاتتم المعرفة الحقة عند الفارابى الا اذا تم الاتحاد بينهما أو الاتصال الذى عن طريقه تحصل المعرفة .

ويذهب الفارابى الى أن المرء لايستطيع الاتصال بالعقل الفعال دفعة واحدة ، بل لابد له من الانتقال من مجرد الاستعداد الفطرى للمعرفة الى مرتبة العقل بالفعل ، ومن هذه المرتبة الى العقل المستفاد (١) .

اذن يفسر الفارابى المعرفة الانسانية على أساس اتصال العقل الفعال بنفوسنا ، لأن النفس الانسانية لاتستطيع بلوغ غايتها فى الادراك ولاتصير عقلا بالفعل عند الفارابى الا اذا وجد شئ يخرجها من القوة أو من مجرد الاستعداد الى الادراك الفعلى وذلك الشئ هو العقل الفعال ، ولاتتم المعرفة الحقه الا اذا اتحد هذا العقل بالنفس العاقلة لدى الانسان وحدث الاتصال .

---

(١) الفارابى : آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٧٦ .

ويذهب الفارابى الى أن هذا الاتصال لايتم لكل الناس ، بل يتحقق لدى هؤلاء الذين قويت لديهم ملكة الخيال ، وقد يتلقى البعض العلم بالأمور المستقبلة التى تفيض من العقل الفعال ، وقد تبدو على صور خيالية ، وتلك مرتبة الأنبياء و لقد كان لهذه الآراء الفارابية أثرها الواضح على من جاء بعده من الفلاسفة كابن سينا والغزالى وابن باجة .

ففرق ابن سينا كذلك بين أربعة عقول هى : العقل الهيولانى أى العقل بالملكة ، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد والعقل الفعال وعن طريق هؤلاء ينتقل الانسان من حالة الجهل الى العلم ، ومن درجة الاستعداد الى درجة التحصيل ، أى ينتقل من حالة القوة الى حالة الفعل ، والعقل الفعال هو الذى يخرج النفس البشرية من حالة المعرفة بالقوة الى كونها عالمه بالفعل . وأن المعرفة تتم عن طريق اتصال النفس بالعقل الفعال . ويضع ابن سينا شروطاً حتى يتم الاتصال ، لأنه لو كان الاتصال يتم هكذا بدون شروط تتمثل فى مجاهدة النفس لقوى البدن لتساوى الكل فى المعرفة . ويوضح ابن سينا كيف يتم الاتصال فيذكر طريقين : الطريق الأول هو طريق التأمل والبحث والتفكر ، حيث تصل النفس ابتداء من مرحلة الادراك الحسى بدرجاته مارة بالعقل الهيولانى فالملكة ، فالعقل بالفعل ، حتى تصل الى درجة العقل المستفاد حيث هناك تتصل بالعقل الفعال الذى يمنحها صور المعقولات . أى أن الاتصال عند ابن سينا يتم عن طريق الترقى الطبيعى بالتأمل فى الموجودات ، فتتلوح له الأمور الالهية متقررة فى نفسه عن طريق العقل الفعال .

ويؤكد ابن سينا ان عدم الاتصال ليس معناه غياب هذا العقل عنا ، بل معناه غيابنا نحن عنه ، لأن العقل الفعال حاضر دائماً بالفعل ، فهو على حد تعبير ابن سينا ليس مما يغيب ويحضر ، بل هو حاضر بنفسه ، انما نحن الذين نغيب عنه بالاقبال على الأمور الحسية . وفى هذا يتفق ابن سينا مع الفارابى الذى يصف العقل الفعال بأنه متحقق تحققاً تاماً ، فعال دائماً .

ويشبه ابن سينا العقل الفعال أيضاً بالشمس حين يقول عنه " ونسبته الى نفوسنا كنسبه الشمس الى أبصارنا ، فان القوة العقلية اذا اطلعت على الجزئيات التى فى الخيال ، واشرق عليها نور العقل الفعال فينا ، استحالت مجردة عن المادة وعلائقها وانطبعت فى النفس الناطقة ، لا على أنها نفسها تنتقل من التخيل الى العقل منا ، بل على معنى أن مطالعتها تعد النفس لأن تفيض

عليها المعنى المجرد من العقل الفعال • فان الأفكار والتأملات حركات معدّة للنفس نحو قبول الفيض "[1] •

أى أن ابن سينا يفسر المعرفة الانسانية أيضاً على أساس نظرية الاتصال بين النفس والعقل الفعال ، وأن التعلم ماهو الا محاولة الاستعداد التام للاتصال بالعقل الفعال وأن هذا الاستعداد يكون ناقصاً قبل التعلم وكاملاً بعده ، وقد يشتد فى بعض الناس حتى لا يحتاج فى أن يتصل بالعقل الفعال الى كثير شئ والى تخريج وتعلم بل يكون شديد الاستعداد لذلك كأنه يعرف كل شئ • من نفسه وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد • ويجب أن تسمى هذه الحالة من العقل الهيولانى عقلاً قدسياً [2] •

فابن سينا كالفارابى يقول بالاتصال حتى تتم المعرفة ، وان كان ابن سينا يختلف عن الفارابى من جهة انه لا يسلم معه بأن النفس تتحد مع هذا العقل فتفنى فيه ، وقد أخذت نظرية المعرفة السينوية طابعاً اشراقياً أثر فى غيره من الفلاسفة الذين جاءوا بعده •

فالغزالى مثلا فرق هو كذلك بين أربعة قوى نفسية تقابل كل قوة منها عقلا • الأولى قوة هى مجرد استعداد خالص للادراك يطلق عليها اسم العقل الهيولانى ، أى المادة أو العقل بالقوة ، ثم تأتى المرتبة الثانية فيدرك فيها الانسان بعض المعانى مثل البديهيات أو الأوليات اليقينية التى يدركها الانسان من غير اكتساب اذ هى فطرية •

أما المرتبة الثالثة : فهى ما يطلق عليه الغزالى العقل بالفعل ، ويريد بها أن الانسان يهتدى الى حقائق معينة ثم ينفل عنها ، غير أنه يظل قادراً على استعادتها ، فاذا تمثلت هذه المعانى فى الذهن تحققت المرتبة الرابعة ، وهى العقل المستفاد ، وقد سمى كذلك لأنه يستفيد هذه المعانى بأحد الأسباب الالهية وهو العقل الفعال •

---

(١) ابن سينا : الشفاء جـ١ ، ص ٢٥٦ •

(٢) ابن سينا : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ •

ويفسر الغزالى المعرفة الانسانية بأنها تتم على صورة انوار واضواء تفيض من العقل الفعال على النفوس البشرية وهو يرى من جانب آخر أن هذه الأنوار ، والأضواء لا تفيض الا بشرط أن تكـــون النفس مستعدة لقبولها .

ويذهب الغزالى الى القول بأن المعانى تحضر فى العقل ثم تغيب ثم تعود ، ولايمكن أن يكون العقل مصدرها ، فلابد من التسليم بوجود جوهر مستقل تفيض منه هذه المعانى . اذن الغزالـــى من أنصار نظرية الفيض فى المعرفة وتختلف النفوس عنده فى استعدادها لقبول هذه المعرفة الاشراقية. اذ قد تصفو وعندئذ يصبح الفيض متواصلاً متواتراً متوالياً ، وقد تنصرف عن الفكر جملـــة ، فتعرض عن جانب القدس ، وبين هذين النوعين من النفوس مراتب يتفاوت الناس تبعاً لها . قربـاً وبعداً من الله ، فالنفوس العافية المشرقة التى تطهرت من أدران البدن وشهواته فان أنوار العلم تتلألأ فيها ، وهى مؤيدة من قبل الله تعالى ، وهى ثاقبة الحدث . وقد يكون هذا الحدث عقـــب طلب وشوق ، وقد يكون من غير طلب أو اشتياق فتفيض عليها المعقولات محبوبة ببراهينها .

ويصف الغزالى النفوس الواصلة بأنها تشبه من تجرد ثياب بدنه فأصبح نوراً خالصاً ، واتصل بعالم القدس ، وتتمثل له حقائق الأشياء مع وجودها خارج حسه ، وعلى هذا النحو يتمثل للأنبياء والأولياء أشياء وصوراً مماثلة لجواهر الملائكة ، وتحدث لهم ذلك فى اليقظة ، وينتهى اليهـــم الوحى والالهام بواسطتها ، فيتلقون من الغيـــــبية فى اليقظة ما يتلقاه غيرهم فى النـــوم وذلك لشدة صفاء باطنهم (١) .

أى أن الإمام الغزالى يفسر المعرفة الانسانية عن طريق الفيض والاشراق من العقل الفعال الـذى يهب العلم والمعرفة كما قال الفارابى وابن سينا قبله .

وعلى ذلك فحاجة العقل الانسانى الى مصدر خارجى يفيض عليه العلم والمعرفة ويهديه الـــى الحقيقة ، أمر متفق عليه من معظم الفلاسفة ، لأن العقل الانسانى عقل محدود أو هو ليس شيئـــاً

---

(١) الغزالى : فيصل التفرقة ، ص ٦ .

ذا بال ، وانه بحاجة الى من يهبه العلم ويفيض عليه بالمعرفة ، وذلك ما مرح به ابن طفيل في كتابه حي بن يقظان بعد أن استعرض قدرة العقل الانساني على معرفة الحقائق ، انتهى الى أن الانسان باعتباره كائناً مفكراً ينظر ويتأمل كل ما يقع تحت بصره وسمعه ، فان ادراكه لجميع ما يراه ، انما بسبب خالق يلهمه العلم والمعرفة ويفيض عليه بالنور وذلك يكون عن طريق الوحي والنبوة (١) .

وأيضاً نجد ابن باجه فيلسوف المغرب يصرح كذلك بأربعة عقول هي العقل الهيولاني ، والعقل بالفعل ، والعقل المستفاد ، والعقل الفعال . وان العقل المستفاد يفيض من العقل الفعال .

ونجد للعقل الفعال عند ابن باجه في نظرية المعرفة نفس المكانة التي احتلها لدى كل من الفارابي وابن سينا والغزالي اذ هو صورة مجردة عن المادة غير قابل للانقسام ، فعلمه واحد لايتعدد .

ويذهب ابن باجه الى القول بأن تحصيل الصور العقلية بتأثير العقل الفعال هو الذي ينتقل بالعقل الانساني من مجرد الاستعداد الى مرتبة العقل المستفاد ، ولا يتم هذا الا اذا اتحد العقل بالفعل مع العقل الفعال . أي اذا فاضت عليه المعاني ويسمي ابن باجه هذا الاتحاد بالاتصال .

لقد فسر هؤلاء الفلاسفة المعرفة عن طريق الاتصال بالعقل الفعال الذي يفيض على النفس الانسانية بالمعرفة الاشراقية اللدنية لكن ابن سينا رأى أن هذا الاتصال يتم عن طريق النظر والتأمل وقد شاركه في هذا القول ابن طفيل .

أما ابن رشد فقد وقف طويلاً أمام العقل الانساني يدرسه ثم فرق بين ثلاثة عقول هي العقل المادي ، والعقل بالفعل ، والعقل الفعال (٢) ، ولكن ابن رشد رأى أن هذه العقول الثلاثة توجد بداخل النفس بمعنى انها ثلاث مظاهر نفسية ، ولم يصرح قط بأن العقل الفعال ذات مستقلة عن النفس

---

(١) ابن طفيل : حي بن يقظان

(٢) ابن رشد : تهافت التهافت ، ص ٥٦٧ .

الانسانية [1] . ولذلك كان الاتصال لدى ابن رشد مختلفاً عنه عند الفارابى وابن سينا والغزالى وابن طفيل ، لأن ابن رشد ذهب الى أن العقل الهيولانى يمكنه أن يدرك العقل الفعال ، وأن يتصل به وان هذا الاتصال يتم داخل النفس وذلك لأن كلا العقلين انما يعبران عن حقيقة واحدة ذات مظهرين .

ويصرح ابن رشد فى كتابه " الفحص عن اتصال العقل الهيولانى بالعقل الفعال " بأن هذا العقل الفعال يتصل بنا من أول الأمر فاذا استطاع الانسان الرقى فى مدارج المعرفة أدرك حقيقته أو اتصل بذلك العقل اتصال ادراك بعد أن كان متصلاً به اتصال وجود فقط .

اذن ابن رشد من أصحاب نظرية الاتصال داخل النفس الانسانية ولايصرح بأن هناك فيضاً من الخارج كما قال بذلك غيره من الفلاسفة الذين حاولوا تفسير المعرفة الانسانية عن طريق تلقى العلم من مصدر خارجى هو العقل الفعال يهب العلم ، وتصوره البعض خارج النفس ذاتاً مستقلة قالوا عنه هو الله ، وتصوره ابن رشد داخل النفس وقال عنه أيضاً انه هو الله [2] .

فما معنى ذلك كله ؟

نستطيع أن نستنتج من كل ما سبق أن العقل الانسانى عقل محدود منفعل محتاج الى مدد وعون وفيض يأتيه من مصدر آخر يهبه العلم والمعرفة وهذا المصدر هو الوحى ، هذا ما صرح به الكندى فى قوله أن العقل وحده لا يكفى مصدراً للمعارف ، انما هو فى حاجة الى الوحى ، لأن هناك حقائق تفوق قدرة العقل ، وأن العقل يعجز بطبيعته عن ادراكها ، ومن أجل ذلك اهتم الكندى باثبات الوحى والنبوة كمصدر للعلم والمعرفة . وقد ذكر ابن أبى أصيبعه أن للكندى رسالة فى تثبيت الرسل عليهم السلام ، وكذلك ذكر القفطى أن للكندى كتاباً فى اثبات النبوة ، حيث الحاجة اليها حاجة ملحة لاكمال ما عجز العقل الانسانى عن أن يتوصل اليه ويضيف الكندى بياناً بأنه لا تعارض بين المعرفة العقلية والعلم الالهى . الذى يختص به الأنبياء عن طريق الوحى . وأن

---

(1) De Beatitudine animae- fot 20, V.C-1.

(٢) د . محمود قاسم : فى النفس والعقل ، ص ٢٤٧ .

طبيعة هذا العلم الالهي تتحصل بلا طلب ولا تكلف ولا بحث ولا بحيله بشرية ولا بزمان وانما باراده الله تعالى • وان هذا العلم الالهي يتفق مع العلم الانساني • ولاتعارض بينهما ، لأن الله في علمه ووحيه انما يخاطب عقلا خُلق بصوره تجعله يستطيع أن يفهم مايوحى اليه•

ولقد كان من حكمه الله ورحمته وعدله أن يكمل نقص العقل الانساني بالوحي الذي يمد العقل بالعلم والمعرفة ، لأن العقل الانساني كما قال الامام الغزالي قليل الغناء ، ولا بد له من مدد من الله ، لكي يستعيد ثقته بنفسه اذ العقل عاجز عن حل الكثير من المسائل ، وأن أصحاب العقول متضاربون متباينون وأن هذا التعارض والتباين دليل عدم قدره العقل على التوصل لليقين ، وان المعرفة اليقينية الحقه سندها في الوحي المنزل الذي لايأتيه شك ، وان هذا الوحي انما يخاطب العقل ولايمكن ان يكذب العقل الوحي ، اذ لاتعارض بينهما •

ويؤكد الفارابي كذلك ان طريق الوحي وطريق العقل واحد ، اذ كلاهما يصدر عن معين واحد ، هو العقل الفعال ، وان الاتصال به يكون عن طريقين طريق البحث والنظر والتأمل ، وعن طريقهم يستطيع المرء أن يصعد الى منزله العقول العشره ، ويرتقي الى درجة العقل المستفاد حيث يقتبس الأنوار الالهية ، ولكن ليست جميع النفوس قادرة على ذلك الاتصال ، انما هذه درجة خاصة بالأرواح القدسية التي تستطيع ان تخترق حجب الغيب وتدرك عالم النور ، يقول الفارابي : الروح القدسية لاتشغلها جمه تحت عن جهه فوق ، ولايستغرق الحس الظاهر حسها الباطن ، وقد يتعدى تأثيرها من بدنها الى اجسام العالم بما فيه ، وتقبل المعلومات من الروح والملائكة بلا تعليم من الناس ، فهذه درجة الحكيم الذي بوسعه الاتصال بالعقل الفعال •

أما الطريق الثاني للاتصال عند الفارابي فهو طريق النبي وهو طريق المخيله ، الذي يكون عن طريقها الاتصال بالعقل الفعال ، والهامات الأنبياء والوحي الذي تنزل عليهم هو أثر من آثار المخيله ، وان في مقدور المخيله عند الفارابي ان تصعد الى العقل الفعال ، وان تلقي عنه الحقائق وذلك عن طريق الوحي والرؤيا الصادقة ، وهذا الاتصال يكون للأنبياء في حال اليقظه وفي حال النوم معا •

والفارابى يرى أن للنبى امتيازا خاصا يمتاز به عن سائر الناس وان له طاقة أخرى أو قوة معينة تمكنه من التقاط الوحى والاختصاص به وذلك عندما يصرح بقوله " النبوه مختصه فى روحها بقدسية تذعن لها غريزه عالم الخلق الاكبر كما تذعن لروحك غريزة عالم الخلق الأصغر ، فتأتى بمعجزات خارجة عن الجبله والعادات ولاتحدأ مرآتها ولايمنعها شئ عن انتقاش مافى اللوح المحفوظ من الكتاب الذى لايبطل ، وذوات الملائكة التى هى الرسل فتبلغ مما عند الله الى عامة الخلق"(١) .

وعلى ذلك يرى الفارابى ان الحاجة للنبوه ضرورية للبلاغ المبين ولذا قدم أدلة كثيرة على اثبات النبوه .

وأيضا نجد هذا القول من الفارابى يجعل النبوه امتيازا واصطفاء واختيار يصطفى الله من يشاء ويختار ويهبه القدره على تلقى العلم والمعرفة ويوحى اليه بما يريد من هداية وارشاد وأمر ونهى قال الله تعالى " الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس" (٢) .

فالوحى لغة هو الاعلام السريع الخفى أو الاشاره والالهام سواء بدافع الغريزة أو باشراقات آلهية وفى المعنى الأول قال الله تعالى " وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ، ومن الشجر ومما يعرشون" (٣) .

أما الوحى اصطلاحا فيعنى اعلام الله نبيا من انبيائه أو رسولا من رسله مايشاء من كلام أو معنى يفيدهم العلم اليقينى القاطع قال تعالى " فأوحى الى عبده ما أوحى " (٤) . وقوله عز وجل " وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم " (٥) اذن الوحى هو الصلة بين الله وبين أنبيائه ورسله ليوصل لهم مايريد ايصاله من علم وحكم وأمر ونهى ، قال تعالى لموسى عليه السلام " وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى" (٦) .

ويكون الوحى احيانا بلا واسطة ، وذلك بالقاء العلم فى العقل والقلب على شكل الهام وقد يكون عن طريق سماع الكلام الالهى من غير أن يرى السامع من يكلمه ويكون أيضا عن طريق ارسال ملك ترى صورته ويسمع كلامه، كجبريل عليه السلام ، فيوحى الى النبى ما أمر الله أن يوحى

---

(١) الفارابى : الثمره المرضية ص ٧٢
(٢) الحج : ٧٥
(٣) النحل : ٦٨
(٤) النجم : ١٠
(٥) الأنبياء : ٧
(٦) طه : ١٣

اليه ، قال الله عز وجل في هذا " وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء انه عليّ حكيم "[1] .

وفعل الوحي في القرآن مسند غالبا الى الله ، وان جاء اسناد الوحي الى غير الله في مواضع ، مثل شياطين الانس والجن والمعنى فيها مختلف عن الوحي المسند الى الله تعالى .

والموحى اليه في كثير من الأقوال هم الأنبياء عليهم السلام ، قال تعالى " انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده "[2] .

وقال عز وجل " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نُوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون "[3] .

وقال كذلك " قل انما يوحى الىّ انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون "[4] .

قال تعالى "إن أتبع الا مايوحى الىّ وما أنا الا نذير مبين "[5] .

وقال عز وجل " وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها "[6] .

ولذلك كله قال الامام الغزالي ان العلم الحاصل عن طريق الوحي هو علم نبوي اختص به الأنبياء عليهم السلام والرسل صلوات الله عليهم والعلم الذي يصل عن طريق الالهام انما هو علم لدني من عند الله يحصل بلا واسطة بين الله والنفس ويشبهه الغزالي بالضوء المنبعث من سراج فيقع على العقل فيهديه لطريق الحق .

---

(١) الشورى : ٥١
(٢) النساء : ١٦٣
(٣) الانبياء : ٢٥
(٤) الانبياء : ١٠٨
(٥) الاحقاف : ٩
(٦) الشورى : ٧

ويعقب الغزالي على ذلك قائلا : أن هذا العلم الحاصل للأنبياء انما هو أشرف من علم جميع الخلائق لانه متحصل من الله تعالى الذي خصهم وفضلهم به يقول الله تعالى " ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن اخرج قومك من الظلمات الى النور ، وذكرهم بأيام الله ، ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور " (١).

اذن أرسل الله أنبياءه ورسله الى الناس للهداية والتعليم ولاخراجهم من ظلمات الجهل الى نور العلم والمعرفه وليبصرهم بما يريده الله منهم حتى لايكون لهم حجه بعد ذلك قال تعالى " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجه بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما" (٢).

فالله سبحانه وتعالى أنزل الوحي والكتب لهداية الناس ولبيان طريق الحق والنور ، قال تعالى عن كتاب موسى " انا انزلنا التوراه فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتب الله وكانوا عليه شهداء" (٣).

وذكر الله تعالى كتاب عيسى بقوله " وقفينا على إثرهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراه ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراه وهدى وموعظة للمتقين (٤).

أما القرآن الكريم خاتم الكتب فقد وصفه الله بقوله " وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه" (٥).

---

(١) ابراهيم : ٥.
(٢) النساء : ١٦٥
(٣) المائدة : ٤٤
(٤) المائدة : ٤٦
(٥) المائدة : ٤٨

أى أن القرآن يهيمن على كل الكتب السابقة التى أرسلها الله للناس للهدايه والبيان والتعليم وانه كتاب حق وصدق لايأتيه الباطل قال عز وجل "وانه لكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد"(١) .

فهذا الكتاب أوحى الله به الى عبده ليكون هدى ورحمة تستضى به العقول وتهتدى بهديه النفوس يقول الامام الغزالى فى هذا الصدد " اعلم ان العقل لن يهتدى الا بالشرع ، والشرع لم يتيقن الا بالعقل فالعقل كالأس ، والشرع كالبناء .... والعقل كالبصر ، والشرع كالشعاع ، ولن يغنى البصر مالم يكن شعاع .... ولذا لابد من لجوء العقل للشرع ، وأن كليهما لابدلهما من الوحى ، الذى يتلقى الانبياء عنه العلم الحق والمعرفة اليقينية .

وحديث جبريل المشهور يؤكد مهمة الوحى فى التعليم قال الرسول عليه الصلاة والسلام " لقد جاءكم جبريل يعلمكم أمور دينكم "(٢) ، أى ان الوحى ضرورى لمزيد من العلم فى أمور الدين والعقيده وليزود العقل بما عجز عن التوصل اليه بذاته ، اذ الوحى كالزيت يمد السراج بالنور كما قال الامام الغزالى ، فاذ لم يكن زيت لم يحصل السراج ، ومالم يكن سراج لم يضئ زيت فالله سبحانه وتعالى خلق العقل وزوده بقدرات وامكانات محدوده وأرسل اليه الرسل بالوحى ليمده بالعلم اللازم لامكاناته يقول الله تعالى " الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاه فيها مصباح المصباح فى زجاجه الزجاجه كأنها كوكب درى يوقد من شجره مباركه زيتونه لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس ، والله بكل شئ عليم "(٣) .

فالله تعالى يبين لنا بالامثله كيف ان علمه يضئ العقول ويمدها بنور العلم والمعرفة عن طريق الانبياء والرسل الذين كلفوا بالبلاغ المبين بقوله الله تعالى " ياأيها الرسول بلغ ما

---

(١) فصلت : ٤١ - ٤٢

(٢) رواه مسلم عن عمر بن الخطاب انظر صحيح مسلم شرح النووى ط١ ص ١٥٧ .

(٣) النور : ٣٥

أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، ان الله لايهدي القوم الكافرين "(١).

فالغاية من الوحي وارسال الرسل هي بيان ما أنزل اليهم وابلاغهم مافي الوحي من علم وارشاد يهدي العقل ويبصره قال تعالى " وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون "(٢).

فالوحي يخاطب العقل ويحثه على الفكر لتستمر العمليات العقلية في ترقٍ لمزيد من العلم والمعرفة ، فلا غنى للعقل عن الوحي ، ولا الوحي يهمل العقل ، انما لكل منهما دور يؤديه وعمل يناط به في انسجام واتفاق لاتعارض بينهما على الاطلاق.

وقد اهتم المفكرون والفلاسفة ببيان هذا التوافق بين العقل والوحي وكان الاشعري ومدرسته من الذين سعوا لايجاد علاقة بين العقل والوحي وحاول الأشعري أن يوظف العقل في فهم النص الوحي ليثبت انه لاتعارض بين ما يخبرنا به النص وبين ماندركه بالعقل.

وجاء الامام ابن حزم فانشغل تماما بهذه العلاقة واهتم بابراز دور العقل الانساني في فهم النص المنزل وانه لاتعارض بين الوحي والعقل في ادراك الحقيقة اذا سَلِمَ العقل من الآفات وسَلِمَ النص من التغيير الذي يبدل الحقائق . فللعقل دوره الاساسي في ادراك الحقيقة(٣) ، بجانب الوحي الذي هو مصدر الحقيقة الكاملة.

ولهذا وجدنا المستشرق الاسباني أسين بلاثيوس يقول عن ابن حزم انه اول من فكر في ايجاد توافق بين العقل والوحي وان هذا شيء لم يسبق اليه في تاريخ الفكر الاسلامي(وان كنا ذكرنا

---

(١) المائدة : ٦٧

(٢) النحل : ٤٤

(3) A. ARNALDES: LaRaison et l'dentification de la verite'selon Ibn Hazm de cordue Melanges: Louis Massignon p/11,1956.

أن الأشعري وغيره سبقه في هذا المجال) ويضيف بلاثيوس قائلا عن ابن حزم " الواضح ان هذا التحالف بين العقل والنقل انما هو شيء جديد بالاضافة الى غيره أحدثه ابن حزم في تاريخ الفكر الاسلامي وان احدا لم يحاول قبله الدخول في مثل هذا الشكل الواضح لافي اسبانيا ولا في الشرق ، وأن مؤلفات الفارابي وابن سينا تستاء من هذا الاتجاه المبالغ فيه نحو الفلسفة وهي تلحق الضرر بالوحي) ثم يقول : وكان لابد من الوصول الى ابن رشد بعد ابن حزم بقرن من الزمان كي يواجه هذا التحالف بصوره اكبر مؤكدا العلاقة بين العقل والوحي وقد تابعها في ذلك توماس الأكويني (1) .

فالمستشرق الاسباني يرى أن ابن حزم وابن رشد وتوما الاكويني هم الذين اهتموا بايجاد علاقة بين العقل والوحي والواقع أن بلاثيوس لم يمد بصره ناحية الشرق ليرى جهود العديد من المفكرين الذين حاولوا ايجاد علاقة بين العقل والنقل توجت بموسوعة ابن تيميه في « درء التعارض بين العقل والنقل » ، ليثبت بر أي قاطع موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ، وان العقل لايكذب الشرع ولا النقل يهمل العقل كما يقول الغزالي من فلاسفة المشرق : ان العقل لايكذب ولو ذهبنا الى تكذيبه فلعله كذب في اثبات الشرع الذي ما عرفناه وما ثبت الا به.

أي ان الغزالي حرص كذلك على ايجاد علاقة قوية بين العقل والوحي وان وضعه لقانون التأويل (2) ، الذي يجعل العقل شاهدا على فهم النص ما هو في نظرنا الا ليثبت توافق العقل مع الوحي.

ولقد حاول ابن رشد من بعد الغزالي نفس المحاولة عندما أقام جسورا قوية بين العقل والوحي ، لأن العقل لايستطيع أن يستغني عن الوحي ، وانه ليس ثمه تعارض بين العقل والوحي ومن أجل ذلك وضع ابن رشد كتابة " فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال " وألف أيضا كتابه " الكشف عن مناهج الأدله في عقائد الملة" واجزاء من كتاب التهافت ليوضح العلاقة القوية بين العقل والنقل وبين قدره العقل وامكاناته في ادراك الحقيقة ، وأن كان ابن رشد يعترف بأن

---

(1)Asin Palacios: Ibn Hazm de cordoba, Ysu hisloria critica p 157 - 158.

(٢) التأويل معناه في اللغة المرجع والمصير ، اما من حيث الاصطلاح فهو يعني التفسير ثم استحدث معنى آخر للتأويل هو نقل الكلام عن موضعه الى مايحتاج في اثباته الى دليل لولاه ماترك ظاهر اللفظ وهو مأخوذ من قولك أل الشيء الى كذا أي صار اليه ، وهناك معنى ثالث للتأويل يعني صرف اللفظ عن معناه الظاهر الى معنى آخر يحتمله وقد شاع استعماله في القرن الرابع الهجري.

هناك أمورا تفوق قدره العقل ويعجز ازاءها عن التقدم ولهذا يلجأ العقل الى الوحى الذى جاء - مقمما لعلم العقل يقول ابن رشد فى هذا الصدد "كل ماعجز عنه العقل أفاده الله تعالى الانسان من قبل الوحى"(١).

فالعقل لايستطيع ان يستغنى عن الوحى لان هدفهما واحد هو ادراك الحقيقة ثم يضيف ابن رشد موضحا ان ذلك لايعنى ان كل الحقائق الدينية فى متناول العقل وانه بوسعه ادراكها. بل على العقل ان يسلم بما يخبره به الوحى فى المسائل الغيبية كمعرفة الله ، والسعادة والشقاء الانسانى فى هذه الحياه الدنيا وفى الحياة الأخرى. ويصرح ابن رشد ان هذه الامور لاتتبين كلها أو معظمها الا بوحى ، أو يكون تبينها بالوحى أفضل(٢).

ويؤكد كذلك ابن رشد بان العلم الذى يأتى به الوحى رحمه لجميع الناس(٣)، لان هناك حقائق يجب ان يسلم بها ، وهذا لايعنى ان تلك التى تسلم بها محاولة فى العقل ، انها قد يحار فيها العقل ولا يدركها لكنها غير مستحيلة. والخطأ الذى يقع ليس فى استخدام العقل فى الدين ، بل فى الحد الذى يستخدم العقل فى الدين ،بحيث يجب ان يتوقف عند ذلك الحد ولايتجاوزه ، وبذا يمكن ان نحفظ للدين قداسته وللعقل مكانة الذى أنيط به لكى يكون الأداه التى تمكن الانسان من مواصلة تفهم الحقائق. وقد يلجأ العقل لتأويل النص اذا أراد فهم النص(٤) ، وحتى لايكون هناك شبه تعارض بينهما. لأن الحكمة والشريعة أختان ارتضعا لبنا واحدا.

أما الامام ابن تيميه فمع تأكيده موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول الا انه يرفض التأويل الذى قال به الرازى والغزالى وابن رشد ويذهب الى انه لايجوز صرف اللفظ عن معناه

---

(١) ابن رشد : تهافت التهافت ص ٢٥٥.
(٢) ابن رشد : مناهج الأدله ص ١٠١ .
(٣) ابن رشد : تهافت التهافت ص ٢٥٦ .
(٤) ابن رشد : فصل المقال ص ٩٠٧ .

الحقيقي كما لايجوز التوقف وترك بيان معنى النص الموحى به ، لان الله أمرنا أن نتدبر القرآن وان نفهمه ، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك هذا من غير بيان ، اللهم الا أن يقال ان الرسول كان لايعلم معانى القرآن الذى أنزل عليه ، أو كان يعلمها ولم يبلغها كلها للناس مع انه مأمور بالتبليغ ، وكل ذلك غير مقبول ولا معقول"[1] .

وأوضح ابن تيميه ان التأويل المطلوب هو بيان الموضع الذى يجب ترك المعنى الظاهر فيه الى المعنى الآخر المراد ، وهذا التأويل لم يغب عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأنه " لايجوز عليه ان يتكلم الكلام الذى مفهومه ومدلوله باطل ويسكت عن بيان المراد الحق ، ولايجوز ان يريد من الخلق ان يفهموا من خلاله مالم يتبين لهم ويدلهم عليه، لامكان معرفة ذلك بعقولهم"[2]

ويؤكد ابن تيمية توافق العقل مع النقل وان ما وصل اليه العقل الصحيح النظر فى المسائل الاصوليه يتفق مع ماجاء عن الوحى ولا خلاف بينهما[3] .

ويضيف ابن تيميه الى انه لايوجد تعارض بين العقل والنقل وان المعقول الذى يقال انه يخالف العقل لايكون الا حديثا موضوعا أو نحا آخر لايدل دلاله قاطعة على مايراد الاستدلال به عليه ويستطرد ابن تيميه قائلا انه على فرض وجود تعارض بين العقل والنص يرى ابن تيميه انه يجب ان نُرجح الأخذ بالنص الثابت عن الأنبياء على مايؤدى اليه العقل واستدلاله "[4] .

فابن تيميه مع تأكيده توافق العقل والنقل الا انه يرجح الاخذ بالنقل فى الدين لو ظهر تعارض قالأمر أولا للوحي يقول كلمته، وأن العقل يمكن أن يخطئ ويضل ولكن الوحى لن يُخطىء ابدا

---

(١) ابن تميه : موافق صريح المعقول لصحيح المنقول ط ١ ص ١١٥ - ١٢٠ طبعة بولاق .

(٢) المرجع السابق : ط ١ ص ١٠ . ٢ درء تعارض العقل ج ١ ص ٢٢ - ٢٣

(٣) المرجع السابق ، ط ١ ص ٨٣ .

(٤) المرجع السابق ج ١ ص ٤١ - ٤٢ .

والواقع ان الاهتمام ببحث العلاقة بين العقل والوحى لم يكن قاصرا على الفكر الاسلامى ولم يكن المفكرون المسلمون هم وحدهم الذين أولوا هذه المسألة العناية انما كان هناك فى الفكر اليهودى والفكر المسيحى من المفكرين من انشغل ببحث هذه العلاقة وبيان مكانة العقل والوحى فى المعرفة فنجد موسى بن ميمون الفيلسوف اليهودى يدرس هذه العلاقة وينتهى الى القول بان العقل له حد يقف عنده فى قدرته على المعرفة حيث يجب اللجوء فيما لايمكن ان يصل اليه العقل الى الوحى.

وكذلك كان الفيلسوف اسبينوزا من الفلاسفة الدينيين الذين اهتموا ببحث العلاقة بين العقل والوحى وانتهى الى ان لكل منهما المجال الخاص به ولايجب ان يتداخلا .

وكذلك نجد المفكرين المسيحيين قد انشغلوا ايضا بدراسة العلة بين العقل والوحى وكان القديس أوغسطين ممن بحث دور العقل فى الايمان وقال كلمته المشهورة "آمن كى تتعقل."

فالوحى لديه اسبق من العقل وأعلى مرتبة ، وجاء القديس انسلم وسار فى نفس الطريق وجعل الايمان شرطاً للتعقل واهتم كذلك البرت الاكبر بمسألة العقل والوحى وجعل اللاهوت يقوم على الوحى دون العقل وخلفه تلميذه توما الاكوينى الذى أعطى العقل والوحى من دراساته المقام الأول وأكد أن الدين يعصم العقل من الضلال لو ترك العقل لنفسه .

من ذلك كله نتبين كيف انشغل الفكر الانسانى بمسألة العقل والوحى والصله بينهما ولمن منهما المقام الأول والهيمنة وان الوحى بسلطانه وبكلامه له المقام الأول فى النفوس بل فى العقول جميعا سواء لدى الفلاسفة أو المتكلمين لأن العقل خلق محدود يستمد علمه ونوره من الوحى المنزل وقد أوجز الرسول صلى الله عليه وسلم فى كلامه الذى هو وحى يوحى الرأى الفاصل فى هذه المسألة بقوله صلى الله عليه وسلم : أنا بشر اذ أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به ، واذا امرتكم بشئ من رأى فانما انا بشر انتم أعلم بأمر دنياكم "[1]

---

(1) صحيح مسلم جـ٤ ص ١٨٣٥ طبع عيسى الحلبى .

ان هذا القول من الرسول صلى الله عليه وسلم انما يوضح مجال الوحي ومجال العقل وان لكل منهما دوراً يؤديه ففي أمور الدين والعقيدة تكون السيادة والهيمنه للوحي يمدنا بالعلم اللازم والاحكام الواجبه ويكون دور العقل هو تفهم النص الموحى به ولايتعدى العقل ما أخبر به النص من أمور غيبية فوق قدراته وامكاناته أما ما سكت عنه النص ولم يخبرنا به الخبر الصريح فالأمر متروك حينئذ للعقل يفكر فيه ويتدبر وهذا هو معنى قوله تعالى " وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون "(١)

فالله تعالى أنزل الوحي على رسله ليبينوا لنا ما أراده الله لنا ومنا وقد كلفهم بالبلاغ والبيان والعقل البشري يتلقى منهم الوحي بالتدبر والنظر في أمور الحياه الدنيوية وعلوم الحياه الطبيعية والبشرية التي هي في حدود قدراته ومن اختراعه ، وهذا مجال واسع أفسحه الله للعقل الانساني ليصول ويجول فيه ويبدع بما منحه من مبادئ فطريه وأسس منطقية تقوم عليها العلوم المادية.

اذن الأمر واضح والحدود بينة فيما يختص الوحي به وما يقدر العقل عليه ولاتعارض بينهما فلكل مجاله فالوحي مجاله الدين والعقل مجاله الدنيا وأن لكل منهما دوره في المعرفة والعلم وقتنا الله في أن نُعمل عقولنا في تدبر وحينا لنعلم العلم الحق ونستزيد منه تلبيه لقوله عز وجل " وقل رب زدني علما "(٢).

---

(١) النحل : ٤٤

(٢) طه : ١١٤

مراجـــع البحـــث

١ ـ أبن باجـــــــة : الوقوف على العقل الفعال، رسالة الاتصال ضمن رسائل ابن باجة الالهية للدكتور ماجد فخـرى .

٢ ـ ابن تيميـــــــة : درء تعارض العقل والنقل تحقيق د . محمد رشاد سالم الطبعـــــة الأولى سنة ١٣٩٩ هـ .

٣ ـ : موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول .

٤ ـ ابن حـــــــزم : الفصل فى الملل والنحل طبعة المثنى ببغـــداد .

٥ ـ : التقريب لحد المنطق نشر وتحقيق د . احسان عباس سنة ١٩٥٩ م .

٦ ـ ابن سينـــــــا : الإشارات طبعـــة ليـــدن .

٧ ـ ابن رشـــــــد : فصل المقال وتقرير مابين الحكى والشريعة من إتصال بيروت سنة ١٩٨٧ م.

٨ ـ : مناهج الأوله فى عقائد المللة تحقيق د . محمود قاسم الأنجلو سنة ١٩٥٥

٩ ـ : تهافت التهافت تحقيق د . سليمان دنيا دار المعارف بمصر .

١٠ ـ الاشعـــــــرى : اللمع فى الرد على أهل البدع تحقيق الأب مكارفى بيروت سنة ١٩٥٢ م .

١١ ـ الغزالـــــــى : قانون التأويل تحقيق زاهد الكوثرى مطبعة الانوار سنة ١٣٥٩ هـ .

١٢ ـ : تهافت الفلاسفة تحقيق د . سليمان دنيا .

١٣ ـ : فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة تحقيق د . سليمان دنيا ـ دار احيـــاء الكتـــاب ـ القاهـــرة .

١٤ ـ : المنقذ من الضلال تحقيق د . عبد الحليم محمود الأنجلو المصرية ١٩٦٤ .

١٥ ـ الفارابـــــــى : الثمرة المرضية أبريل سنة ١٨٩٠ م .

١٦ ـ : آراء أهل المدينة الفاضلة الطبعة الاولى .

١٧ ـ الكنـــــــدى : رسائل الكندى الفلسفية تحقيق د . عبد الهادى ابو ريده سنة ١٩٥٠ .

١٨ ـ أميره حلمى مطر (دكتوره) : الفلسفة عند اليونـان ـ دار النهضة .

١٩ ـ دى يـــــــور : الفلسفة فى الاسلام ترجمة د . عبد الهادى ابو ريـده .

٢٠ ـ محمود قاسم (دكتور) : فى النفس والعقل مكتبة الانجلو المصرية طبعة ٣

٢١ ـ محمد يوسف موسى : بين الدين والفلسفة دار المعارف سنة ١٩٥٩ .

Albert Le Grand : De Intellectn et intelligibilli
Aristote : traité de l'ame.
: DE Anima .
Arnaldeze(Roger) : La Raison et L'identification de La Verie Selon Ibn HAZM de Cordone en M. Langes Lowis Massignon1956 .
Asin Palacioss : Ibn HAZM de (Cordoll) Ysuhistoria critica.
Jourdain : La Philoso Phie de saint Thomas D'Aquin.
Munk : Melanges de philosophie Juive et Arabe Paris 1927 .